

سورة آل عمران

١٥- قوله تعالى : ﴿ اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢٠ ﴾

القراءة : قراءة الجمهور "الْقَيُّومُ" بالواو . ورُوى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ "الحيُّ القيَّامُ" . وقد قرأ هذه القراءة عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، رضي الله عنهما ، وابن مسعود ، وإبراهيم النخعي ، والأعمش ، وأصحاب عبد الله ، وزيد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وأبي رجاء بخلاف ، وعلقمة بن قيس ، ورُوى عن علقمة أنه قرأ "القيِّمُ" وزنه فيعل . وقرأ الحسن "الحيُّ القيومُ" بالنصب . وقال خارجة في مصحف عبد الله "القيِّمُ" ^(١) . وروى الدوري في : جزئه قال حدثني عمار بن نصر ، عن يونس بن بكير الشيباني عن بكير الشيباني ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، قال : سمعت عمر يقرأ : "ألم الله لا إله إلا هو الحيُّ القيَّامُ" ، وحدثنا أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : "الحيُّ القيُّومُ" ^(٢) .

(١) انظر : المحتسب ج ١ / ١٥١ ، ومختصر شواذ القرآن ص : ٢٥ ، وإعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري ج ١ / ٢٦٥ / ٢٦٦ ، والمحور الوجيز لابن عطية ج ١ / ٣٩٧ ، وتفسير البحر المحيط ج ١ / ٣٩٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ١ / ٣٧٣ / ٣٧٤ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٣ / ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) رواه الدوري في جزئه ص : ٧٩ رقم ٢٧ .

التوجيه والتفسير : وحجة من قرأ " القيوم " بالواو ، ووزنه فيقول أى قيوم ، فاجتمعت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون فصارت ياء ^(٣) . وقال الأخفش : فإن " القيوم " الفِعُولُ ، ولكن الياء الساكنة إذا كانت قبل واو متحركة قلبت الواو ياء ، وأصله " القيُوم " ، والذِيَانُ : الفِعْعَانُ ، والذِيَارُ : الفِعْعَالُ ، وهي من " دَارَ يَدُورُ " وأصله " الدِّيَارُ " ولكن الواو قلبت ياء ^(٤) . وحجة من قرأ " القيَامُ " فعلى وزن فيعال ، من قام يقوم ، لأن الله تعالى ، هو القيم على كل نفس ، ومثله من الصفة على فيعال الغيداق ، والبيطار ، وأصله : القيَوَامُ ، فلما التقت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون قلبت الواو ياء ، وأدغمت فيها الياء فصارت " القيَامُ " ، ومثله قولهم : " ما بالدار ديار " ، وهو فيعال من دار يدور وأصلها دِيَار ، وأهل الحجاز يقولون للصَّرَاع : الصِّيَاع ، فعلى هذا ينبغي أن يحمل لا على فَعَال ، لأنه يجب أن يكون صَوَاعاً ^(٥) . وقال أبو البقاء العكبري : ولا يجوز أن يكون فَعَالاً ، إذ لو كان كذلك لكانت القراءة قَوَاماً ، لأن عين الكلمة واو ^(٦) . أما من قرأ " القيَمُ " على فيعل مثل سيّد ، والجمهور بالرفع فيهما ، قد قرئ بالنصب فيهما على إضمار أمدح أو أعنى . وقد حُكي الجرُّ فيهما ، قراءةً رديئةً ساقطة ، إذ ليس في الآية وما يقربُ منها قبلها

قلت : إسناده ضعيف ، لأن فيه محمد بن إسحاق ، صدوق يدلّس ، وفي هذا الإسناد رواه بالنعنة ، وفيه يونس بن بكير الشيباني ، قال ابن حجر ، يخطئ . انظر : تقريب التهذيب ج ٣ / ١٥٣ / ٣٩٤ .

قلت : له شواهد لمواضع قراءة قيام ، فقد أخرجه عبد الله بن أبي داود عن طريق محمد بن يسار ، حدثنا يحيى - ابن آدم ، وطرق أخرى . انظر : المصاحف ص ٥٢ ، ٥١ .

(٣) انظر : إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري ج ١ / ٢٦٥ .

(٤) انظر : معاني القرآن للأخفش الأوسط ج ١ / ١٩٣ .

(٥) انظر : المحتسب ج ١ / ١٥١ .

(٦) انظر : إعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٢٦٥ .

مَجْرُورٌ ، فَتَحْمَلُ هذه الصفة عليه ، فإن قال : فَلِمَ لا يكونُ وصفاً لقوله : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة / ٢٥٢] ، قيل : هذا لا يسوغُ لتباعدِ ما بينهما والفصلُ بأشياءٍ أجنبية^(٧) . قلت : القراءة المروية عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وغيره من الصحابة والتابعين وغيرهم بلفظ " الْقِيَام " شاذة لمخالفتها رسم المصحف ، وضعف سندها ، ولم يقرأ بها أحد من القراء العشرة بل جاءت بالفاظ الشك والتمريض . وهو قوله : رويت . وقد كره الزجاج القراءة بخلاف ما في المصحف فقال : والذي ينبغي أن يُقرأ ما عليه المصحف ، وهو الْقِيَوْم ، بالواو ، الْقِيَمُ جيد بالغ كثير في العربية ، ولكن القراءة بخلاف ما في المصحف لا تجوز ، لأن المصحف مجمع عليه ، ولا يعارض الإجماع برواية لا يعلم كيف صحتُها^(٨) . وقال ابن جرير : والقراءة التي لا يجوز غيرها عندنا في ذلك ، ما جاءت به قراءة المسلمين نقلاً مستفيضاً من غير تشاعر ، ولا تواطؤ وارثة ، وما كان مثبتاً في مصاحفهم وذلك قراءة من قرأ " الحَيُّ الْقَيُّوم " ^(٩) .

١٦ - قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾

القراءة : اختلف القراء في فتح الياء وضم الغين من قوله عز وجل : ﴿ يَغُلُّ ﴾ فقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، بفتح الياء وضم الغين ، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين^(١٠) .

(٧) انظر : إعراب القراءات الشواذ للمكبري ج ١ / ٢٦٦ .

(٨) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج ١ / ٣٧٣ / ٣٧٤ .

(٩) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٣ / ٢٢٣ .

(١٠) انظر : السبعة ص : ٢١٨ ، والكشف ج ١ / ٣٦٣ ، ومعاني القراءات القرآنية للأزهري ص :

٢٧٩ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٤٢ ، والإقناع في القراءات السبع ص : ٣٨٩ ، والحجة

لأبي علي الفارسي ج ٣ / ٣٩٥ ، والتيسير ص : ٧٦ ، ومعاني القرآن للأخفش ج ١ / ٢٢٠ ،

وروى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " أَنْ يَغُلَّ " . فقد روى الحاكم في المستدرک بإسناد فيه نظر قال : أخبرني محمد بن مؤمل بن الحسن بن عيسى ، ثنا الفضل بن محمد بن المسيب ، ثنا عيسى بن ميناء قالون ، حدثني أبو غزية محمد بن موسى بن القاضي ، ثنا إبراهيم بن إسماعيل الأشهلي ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " وما كان لنبي أن يَغُلَّ " بفتح الياء . وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ^(١١) قال الذهبي : بل واه . قلت : إسناده ضعيف جداً لأن فيه محمد بن موسى أبو غزية ، قال البخاري : عنده مناكير ، وقال ابن حبان : كان يسرق الحديث ، ويروى عن الثقات الموضوعات ، قال أبو حاتم : ضعيف ، ووثقه الحاكم ، وكذلك عيسى بن ميناء قالون ثبت في القراءة فيكتب حديثه في الجملة ^(١٢) .

وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي : وروى معاذ بن جبل أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان يقرأه بفتح الياء ، وبه قرأ ابن عباس ^(١٣) . وقد روى أبو داود في سننه هذه القراءة " يَغُلَّ " بفتح الياء وضم الغين . ولكن لم ينسبها إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وإنما جاءت في بيان سبب نزولها قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا خفيف ، حدثنا يقسم مولى ابن عباس ، قال : قال ابن عباس ، رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ في

والدر المصون ج ٢ / ٢٤٧ ، والكشاف ج ١ / ٤٣٤ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٤ /

٢٠٦ ، والتبصرة ص : ١٧٥ ، والنشر في القراءات العشر ج ٣ / ١٦ .

(١١) أخرجه الحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه وقد صح سنده ج ٢ / ٢٣٥ .

(١٢) انظر : لسان الميزان ج ٤ / ٤٠٧ / ٤٠٨ ج ٥ / ٣٩٨ ، وميزان الاعتدال ج ٦ / ٣٤٧ .

(١٣) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ج ١ / ٣٦٣ .

قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ، قال بعض الناس لعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أخذها . فأنزل الله ، عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُلَ ﴾ إلى آخر الآية . قال أبو داود : يَقُلُ : مفتوحة الياء ^(١٤) .

التوجيه والتفسير : وحجة من قرأ " يَقُلُ " فالمعنى : ما كان لنبي أن يَخُونَ أمته ، وتفسير ذلك أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، جمع الغنائم في غزاة ، فجاء جماعة فقالوا له : ألا تقسم بيننا غنائمنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " لو أن لكم عندي مثل أحد ذهب ما منعتكم ديناراً أتروني أغلّكم معنكم ؟ " وأما من قرأ " أن يَقُلَ " فهو على وجهين : أحدهما : ما كان لنبي أن يَقُلَهُ أصحابه ، أي : يخونوه ، وجاء عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : " لا يخونن أحدكم خيطاً ولا خياطاً . والوجه الثاني : أن يكون " يَقُلَ " بمعنى : يَخُونُ ، المعنى : ما كان لنبي أن يَخُونُ ، أي : يُنسَب إلى الخيانة ؛ لأن نبي الله لا يَخُونُ إذ هو أمين الله في الأرض . وقال الأخفش الأوسط من قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَقُلَ ﴾ وقال بعضهم : " يَقُلَ " وكل صواب - والله أعلم - لأن المعنى : أن يَخُونُ أو يُخَانَ . وقال أبو علي : قالوا في الخيانة : أغلَّ يَقُلَ إغلالاً : إذا خان ولم يود الأمانة ، قال النمر بن تولب :

١٥- جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَمْرَةَ ابْنَةِ نُوْفَلٍ

جزاء مُغِلٍّ بالأمانة كاذب ^(١٥)

(١٤) أخرجه أبو داود في : ٢٥ - كتاب الحروف والقراءات ج ٤ / ١٧٠٨ رقم ٣٩٧١ ، والترمذي في : ٤٨ - كتاب تفسير القرآن ٤ - باب " ومن سورة آل عمران " ج ٥ / ٢٣٠ رقم ٣٠٠٩ بإسناده ولفظه . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خُصيف نحو هذا ، وروى بعضهم هذا الحديث عن خُصيف عن مقسم ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس ، وابن جرير في : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٤ / ٢٠٦ رقم ٦٤٧٦ .

(١٥) انظر : معاني القراءات للأزهري ص : ٢٧٩ / ٢٨٠ ، ومعاني القرآن للأخفش ج ١ / ٢٢٠ ، والحجة في علل القراءات السبع ج ٣ / ٣٩٥ ، والحرر الوجيز لابن عطية ج ١ / ٥٣٦ ، والدر المصون

وقد اختار أبو علي الفارسي قراءة البناء للفاعل "أَنْ يُغْلَ" كما ورد في المصحف الإمام فقال حجة القراءة لمن قرأ "أَنْ يُغْلَ". أَنَّ ما جاء في التنزيل من هذا النحو أُسِنِدَ الفعل فيه إلى الفاعل نحو: "ما كان لنا أن نشركَ ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة يوسف / ٣٨] و﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ [سورة يوسف / ٧٦]. و﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران / ١٤٥] و﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ [سورة التوبة / ١١٥] و﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [سورة آل عمران / ١٧٩]. ولا يكاد يجئ منه ما كان زيد ليضرب ، فيسند الفعل فيه إلى المفعول به ، فكذلك "ما كان لنبي أن يغْلَ" يُسند الفعل فيه إلى الفاعل . وروى عن ابن عباس أنه قرأ "يُغْلَ" وقيل له : إن عبد الله قرأ "يُغْلَ" ، فقال ابن عباس : بَلَى والله ويُقْتَل ، وروى أيضاً عن ابن عباس : قد كان النبي ، يُقْتَل فكيف لا يُخَوَّن^(١٦) . وقال الفراء : ويقرأ بعض أهل المدينة "أَنْ يُغْلَ" يريدون أن يخان ، وقرأه أصحاب عبد الله كذلك : "أَنْ يُغْلَ" يريدون أن يُسْرَق أو يُخَوَّن ، وذلك جائز وإن لم يقل يُغْلَل فيكون مثل قوله : "فإنهم لا يكذبوك ويكذبونك" . وقرأ ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السلمي "أَنْ يُغْلَ" وذلك أنهم ظنوا يوم أحد أن لن تقسم لهم الغنائم كما فعل يوم بدر . ومعناه : أن يتَّهم ويقال : قد غلَّ^(١٧) .

١٧- قوله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾

القراءة : قراءة جمهور القراء ﴿من أنفسهم﴾ بضم الفاء جمع نفس . وروى أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : "من أنفسهم" بفتح الفاء من النفاسة . وقد

ج ٣ / ٤٩ / ٤٩٦ .

(١٦) انظر : الحجة في علل القراءات السبع ج ٣ / ٣٩٦ .

(١٧) انظر : معاني القرآن للفراء ج ١ / ٢٤٦ .

قرأ بها فاطمة ، وعائشة ، وابن عباس ، والضحاك ، وأبو الجوزاء ، وروى علي ، عنه ، عليه السلام ، أنا من أنفسكم نسباً وحسباً وصهرأ ، ولا في آبائي من آدم إلى يوم ولدت سفاح كلها نكاح والحمد لله ^(١٨) .

التوجيه والتفسير : وحجة من قرأ " من أنفسهم " بضم الفاء أى من جنسهم عربياً مثلهم ، وقال ابن عطية : معناه في الجنس ، واللسان والمجاورة ، فكونه من الجنس يوجب الأنس به وقلة الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم يوجب حسن التفهيم وقرب الفهم ، وكونه جارأ وريراً يوجب التصديق والطمأنينة إذ قد خبروه وعرفوا صدقه وأمانته ، فبعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من قبل أمهاتهم إلا نبي تغلب لنصرتهم . وحجة من قرأ " من أنفسهم " بفتح الفاء من النفاسة والشيء النفيس ، وقال الزمخشري : أي من أشرفهم . وقال ابن الجوزي : وفي وجه الامتنان عليهم بكونه من أنفسهم أربعة أقوال :

أحدها : لكونه معروف النسب فيهم ، قاله ابن عباس ، وقتادة .

والثاني : لكونهم قد خبروا أمره وعلموا صدقه ، قاله الزجاج .

والثالث : ليسهل عليهم التعلم منه ، لموافقة لسانه للسانهم ، قاله أبو سليمان الدمشقي .

والرابع : لأن شرفهم يتم بظهور نبي منهم ، قاله الماوردي وهل هذه الآية خاصة أم عامة ، فيه قولان :

(١٨) انظر : مختصر شواذ القرآن ص : ٣٠ ، والمحتسب ج ١ / ١٥١ ، وإعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٣٥٥ ، وتفسير البحر المحيط ج ٣ / ١٠٨ / ١٠٩ / ١١٠ ، والكشاف ج ١ / ٤٣٥ ، والمحرر الوجيز ج ١ / ٥٣٧ ، وزاد المسير ج ١ / ٤٩٤ .

أحدهما : أنها خاصة للعرب ، روى عن عائشة والجمهور .

والثاني : أنها عامة لسائر المؤمنين ^(١٩) .

وقال أبو البقاء : " من أنفسهم " أى من أفضلكم ^(٢٠) .

وقال ابن خالويه : وتأويل هذه القراءة " من أنفسهم " بفتح الفاء من أشرفهم ^(٢١) .

١٨ - قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١٨٨)

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴾ (١٨٩)

وقوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ﴾ (١٩٠)

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ يَمُوتُونَ ﴾ (١٩١)

القراءة : اختلف القراء في الياء والتاء وكسر السين وفتحها في قوله تعالى : " ولا يحسبن " ، " ولا يحسبن الذين يبخلون " و " ولا تحسبن " و " فلا تحسبنهم " . فقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو " ولا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا " ، " ولا يَحْسَبَنَّ الذين يبخلون " ، " ولا يَحْسَبَنَّ الذين يفرحون " ، " فلا يَحْسَبَنَّاهُمْ " ضم الباء في " فلا يَحْسَبَنَّاهُمْ " . وكلهن بالياء وكسر السين في كل القرآن . وقرأ نافع ، وابن عامر " ولا يحسبن الذين كفروا " ، " ولا يحسبن الذين يبخلون " و " لا تحسبن الذين يفرحون " كل ذلك بالياء ، " فلا

(١٩) انظر : تفسير البحر المحيط ج ٣ / ١٠٨ / ١٠٩ / ١١٠ ، والكشاف ج ١ / ٤٢٦ ، والمحزر الوجيز

ج ١ / ٥٣٧ ، وزاد المسير ج ٤٩٤ .

(٢٠) انظر : إعراب القراءات الشواذ ج ١ / ٣٥٥ .

(٢١) انظر : مختصر شواذ القرآن ص : ٣٠ .

تَحْسِبْنَهُمْ " بالتاء وفتح الباء غير أن نافعاً كسر السين وابن عامر فتحها . وقرأ حمزة بفتح الباء والسين ، وكلُّ ذلك بالتاء . وقرأ عاصم والكسائي كلُّ ما فى هذه السورة بالتاء إلا حرفين قوله : " ولا يحسبن الذين ييخلون " ، " ولا يحسبن الذين كفروا " فإنهما بالياء غير أن عاصماً فتح السين ، وكسرها الكسائي ، ولم يختلفوا في قوله تعالى " ولا تَحْسِبَنَّ الذين يفرحون " أنها بالتاء . وقال أبو عليّ : قراءة ابن كثير ، وأبو عمرو : " ولا يحسبن الذين كفروا " ، " ولا يحسبن الذين ييخلون " ، " ولا يحسبن الذين يفرحون " ، " فلا يحسبنهم " بضم الباء في " يَحْسِبُهُمْ " ، وكلُّهن بالياء وكسر السين في كل القرآن^(٢٢) . وروى أبو داود ، والحاكم ، وأحمد بن حنبل ، والدوري أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : " لا تَحْسِبَنَّ الذين يفرحون .. " بالتاء وكسر السين وفتح الباء . وقد روى أبو داود بإسناد صحيح قال : حدثنا قتيبة بن سعيد في آخرين ، قالوا : حدثنا يحيى بن سليم ، عن إسماعيل بن كثير ، عن عاصم بن لقيط بن صبرة ، عن أبيه لقيط بن صبرة قال : كُنْتُ فِي وَادٍ بَنِي الْمُتَنَفِّقِ - أَوْ فِي وَادٍ بَنِي الْمُتَنَفِّقِ - إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ تُصَادِفْهُ فِي مَنْزِلِهِ ، وَصَادَفْنَا عَائِشَةَ ، أُمَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَأَمَرَتْ لَنَا بِخَرِيزَةٍ فَصَنَعَتْ لَنَا ، قَالَ : وَأَتَيْنَا بِقِنَاعٍ - وَلَمْ يَقُلْ قَتِيبةُ الْقِنَاعَ ، وَالْقِنَاعُ : الطَّبَقُ فِيهِ تَمَرٌ - ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئاً " أَوْ " أَمَرَ لَكُمْ بِشَيْءٍ " قَالَ : قَلْنَا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَبَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ جُلُوسٌ إِذْ

(٢٢) انظر : السبعة ص : ٢١٩ / ٢٢٠ ، والحجة لأبي علي الفارسي ج ٣ / ٣٩٨ / ٣٩٩ ، والكشف ج ١ / ٣٧١ / ٣٧٢ ، والتيسير ص : ٧٧ ، والكشاف ج ١ / ٤٥١ ، وتفسير البحر المحيط ج ٣ / ١٢٧ / ١٢٨ ، والمحزر الوجيز ج ١ / ٥٥٣ ، وزاد المسير ج ١ / ٥٢٥ ، ومعاني القرآن للأخفش ج ١ / ٤٢٣ ، والكشاف ج ١ / ٤٣٩ ، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٤ / ٢٤٧ ، والتبصرة ص : ١٧٧ ، والنشر في القراءات العشر ج ٣ / ١٧ / ١٨ / ٢٢ .

دَفَعَ الرَّاعِي غَنَمَهُ إِلَى الْمَرَاكِحَ ، وَمَعَهُ سَخْلَةٌ تَيَعَّرَ فَقَالَ : " مَا وَلَدْتَ يَا فُلَانُ ؟ " . قَالَ :
بَهْمَةً ، قَالَ : " فَادْبَحْ لَنَا مَكَانَهَا شَاةً " . ثُمَّ قَالَ : " لَا تَحْسِبَنَّ " وَلَمْ يَقُلْ : " لَا
تَحْسِبَنَّ " ، أَنَا مِنْ أَجْلِكَ ذَبَحْنَاهَا ، لَنَا غَنَمٌ مَائَةٌ ، لَا تُرِيدُ أَنْ تَزِيدَ ، فَإِذَا وَلَدَ الرَّاعِي
بَهْمَةً ذَبَحْنَا مَكَانَهَا شَاةً " (٢٣) .

التوجيه والتفسير : وحجة من قرأ " ولا تحسبن الذين يفرحون ... " بالتاء وفتح
الباء ، أنه جعل الفعل خطاباً للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، لأن القرآن عليه نزل ،
فهو المخاطب بأكثره ، فخطوب بذلك ، وعدى الفعل إلى ضمير " الذين يفرحون "
وهم المفعول الأول ، و " بمفازة " المفعول الثاني ، و " تحسبنهم " بدل من " تحسبن "
الذي قبله إذا قرئنا جميعاً بالتاء والياء ، وتكرار " فلا تحسبنهم " تأكيد أى فلا تحسبنهم
فائزين . وحجة من قرأ بالياء وضم الباء أنه أضاف الفعل إلى " الذين يفرحون " لتقدم
ذكرهم ، وعدى فعلهم إلى أنفسهم ، فهم المفعول الأول ، و " بمفازة " المفعول الثاني ،
و " يحسبنهم " بدل من " يحسبن " إذا قرئنا جميعاً بالياء . بمعنى : " لا يحسبن أنفسهم
الذين يفرحون فائزين " ، " فلا تحسبنهم " تأكيد . وقال الأخفش الأوسط : وأما
قوله : " لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ "
فإن الآخرة بدل من الأول ، والفاء زائدة ، ولا تعجبني قراءة من قرأ الأولى بالياء -
يعني " لَا تَحْسِبَنَّ " - ليس لذلك مذهب في العربية ، لأنه إذا قال : " وَلَا يَحْسِبَنَّ "

(٢٣) صحيح . أخرجه أبو داود في : ١ - كتاب الطهارة ٥٥ - باب في الاستئثار ج ١ / ٦٩ / ٧٠ رقم

١٤٢ . وفي : ٢٥ - كتاب الحروف والقراءات ١ - باب ج ٤ / ١٧٠٨

رقم ٣٩٧٣ . والحاكم في : كتاب التفسير ، باب قراءات النبي ، صلى الله عليه وسلم ، مما لم يخرجاه

وقد صح سنده ج ٢ / ٢٣٢ / ٢٣٣ . وصححه ووافقه الذهبي ، والدوري في : جزئه ص : ٨١ رقم

٢٩ . من حديث عبد الوهاب بن عطاء ، عن ابن جريج به .

وأحمد بن حنبل في : ج ٤ / ٣٣ ، ٢١١ ، عن يحيى بن سعيد عن ابن جريج به وأطول .

الذين يفرحون بما أتوا .. " فإنه لم يُوقَعْهُ على شيء . قلت : قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، بالياء في كل القرآن . أما كسر السين وفتحها فقد تقدم ذكرها في سورة البقرة ^(٢٤) . وقال مكّي : وحَسُنَ تعديّ فعل الفاعل إلى نفسه ، كما تقول : ظننتني أخاك ، وإنما يجوز هذا في أفعال الظن وأخواته ، ولا يجوز غير ذلك عند البصريين ، لو قلت : ضربتني وشتمتني ، فتعدل الفعل إلى نفسك ، لم يجوز إنما هذا في هذه الأفعال ، لأنها داخلة على الابتداء والخبر ، كان وأخواتها ، ولما كانت " أن " يتصل بها ضمير الفاعل في المعنى ، فيتعدّى إليه ، جاز ذلك في هذه الأفعال ، لم يجوز تعديّ الفعل إلى المفعول ، وهو الفاعل ، لو قلت : ظن نفسي ذاهباً ، لم يجوز ، كما لا يجوز مع " إن " لو قلت : إن نفسي ، لم يجوز ، وإن أنا ذاهب ، لم يجوز . وضُمّت الباء في " تحسبهم " لتدل على الواو المحذوفة التي للجمع ، التي حُذفت لسكونها وسكون أول المشدد . وقد أثبتوا الواو مع المشدد في : " أحتاجوني " [سورة الأنعام / ٨٠] ، وقامت المدة مقام الحركة ، وإنما لم تثبت في " تحسبهم " وتمدّ للتشديد ، لأنها قد حذفت مع النون الخفيفة ، في قولك : " لا تحسبن زيدا قائماً " . فلما حذفت الواو مع الخفيفة ولم تمدّ كان حذفها مع المشدد لازماً . وحَسُنَ ذلك ، لثلا يختلف الفعل ، وإنما لم تحذف الواو في " أحتاجوني " في قراءة من شدّد ، كما حُذفت في " تحسبهم " لأن النون في " أحتاجوني " أصلها الحركة ، والإسكان عارض ، دخل للإدغام ، وليست كذلك نون " تحسبهم " أصل الأول السكون لا الحركة ، والقراءة بالتاء وفتح الباء أحب إلي ، لما ذكرتُ من العلة ، ولأن أكثر القراء عليه . وقد ذهب إلى هذا الأخفش الأوسط ^(٢٥)

(٢٤) انظر : الحجة لأبي علي الفارسي ج ٣ / ٣٩٩ / ٤٠٠ / ٤٠١ ، والكشف ج ١ / ٣٧١ / ٣٧٢ ، والكشاف ج ١ / ٤٥١ ، ومعاني القرآن للأخفش ج ١ / ٢٢٢ / ٢٢٣ ، والكنز في القراءات العشر ص : ١٤٣ .

(٢٥) انظر : الكشف ج ١ / ٣٧٢ / ٣٧١ ، والحجة لأبي علي الفارسي ج ٣ / ٤٠١ / ٤٠٢ ، ومعاني

وقال الزمخشري : قرئ : لا تحسن ، فلا تحسبنهم . بضم الباء على خطاب المؤمنين وقال الزجاج مبيناً معنى الآية وأسباب نزولها : " هؤلاء قوم من أهل الكتاب ، دخلوا على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وخرجوا من عنده ، فذكروا لمن رآهم في ذلك الوقت أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قد أتاهم بأشياء قد عرفوها ، فحسدوهم من شاهدهم من المسلمين على ذلك ، وأبطنوا خلاف ما أظهروا وأقاموا بعد ذلك على الكفر ، فأعلم الله ، عز وجل ، النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أمرهم ، وأعلمه أنهم ليسوا بمفازة من العذاب ، أى ليسوا ببعيد عن العذاب . ووقعت " فلا تحسبنهم " مكررة لطول القصة ، والعربُ تُعيد إذا طالت القصة في حسبت وما أشبهها ، إعلماً أن الذي جرى متصل بالأول ، وتوكيداً للأول ، فتقول : لا تظنَّ زيداً إذا جاءك وكلمك بكذا وكذا ، فلا تظنه صادقاً ، تعيد فلا تظنه توكيداً ، ولو قلت : لا تظن زيداً إذا جاءك وحدتك بكذا وكذا صادقاً جاز ، ولكن التكرير أؤكد وأوضح للقصة^(٢٦) .

القرآن للأخفش ج ١ / ٢٢٣ .

(٢٦) انظر : معاني القرآن وإعرايه للزجاج ج ١ / ٤٩٧ / ٤٩٨ ، والكشاف ج ١ / ٤٥١ .